

نظرتُ حوله
اضطرب لي القلبُ ونفسي لم يجد لها حجاباً
من منظورٍ سرّي

تأليف :
محمد بن زيد الكثيري
المُرشد الديني بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض

تقديم ومراجعة :
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
محمد بن عبد الله السهمي
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى
عام ١٤٤١ هـ

ح) دار طبية الحضراء ، ١٤٤١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكثيري ، محمد بن زيد بن علي

نظرات حول اضطرابات النفس و علاجها من المنظور الشرعي . / محمد بن زيد بن علي الكثيري

مكة المكرمة ، ١٤٤١ هـ

٣٠٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٥٩-٨٥-٦

١- الأمراض النفسية أ. العنوان

١٤٤١/٧٢٦٥

ديوي ٦١٦,٨٩

رقم الإيداع : ١٤٤١/٧٢٦٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٥٩-٨٥-٦

نظرتُ حوله
اضطرب لي القلبُ ونفسي لم يجد لها حجاباً
من منظورٍ سرّي

تأليف :
محمد بن زيد الكثيري
المُرشد الديني بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض

تقديم ومراجعة :
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور
محمد بن عبد الله السهمي
الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى
عام ١٤٤١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبدالله السمهري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى كافة إخوانه من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإني قرأت الكتاب الموسوم بـ/ نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي، تأليف الشيخ: محمد بن زيد بن علي الكثيري، المرشد الديني «بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض»، في طبعته الجديدة وفيها زيادات علمية وافرة وموضوعات نفسانية نفيسة ومفيدة وبعنوان جديد، فوجدت فيه جهداً مذكوراً مشكوراً، ظهر ذلك في جوانب إيجابية أحببت تدوين بعضها في هذه العجالة بإيجاز واختصار.

وتتلخص في النقاط التالية:

أولاً: أهمية موضوعات الكتاب، فهي مشاركة من المؤلف - وفقه الله - قدر الاستطاعة في عرض وعلاج بعض مشكلات العصر النفسية من منظور شرعي كريم، مع الإفادة من الطب النفسي الحديث.

ثانياً: استهلال المؤلف الكتاب بذكر مقدمة موجزة عن أصول الطب في الشريعة الإسلامية، وعناية الشرع المطهر بصحة الإنسان الظاهرة

والباطنة، وذلك على ضوء أدلة الشرع وكلام العلماء الربانيين، والأطباء السابقين، وهذا استهلال موفق فإن الطب من ميراث النبوة، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يقول ناس: إن أصل الطب مأخوذ عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»^(١)، وصدق رحمه الله، فإن شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيها هدى ونور.

وأشار كذلك إلى عناية الشريعة بصحة العقيدة وصحة العبادة، وصحة الأخلاق والسلوك، وصحة المعاملات، فإنها أساس النفوس المطمئنة.

ثالثاً: نقل المؤلف فائدة علمية شرعية طبية نفيسة جداً بشأن أوصاف الطبيب الحاذق الماهر، وهذه الفائدة تتكون من عشرين فقرة يحسن الوقوف عليها والإفادة منها، وهي دليل على عناية علماء المسلمين بالطب النبوي، وهذا من كمال الشريعة^(٢).

رابعاً: من ميزة الكتاب أن نصوصه موثقة من أدلة الشرع المطهر ومن استنباطات العلماء الربانيين، وأقوال الأطباء المختصين في دراسة ومعالجة الأمراض النفسية، عرض المؤلف ذلك بأسلوب سهل وميسر، ولهذا إذا قرأه صاحب الحالة النفسية المرضية يجد فيه تشخيصاً لحالته المماثلة، وهذا بداية الشفاء بإذن الله تعالى.

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٨١).

(٢) ستأتي (ص ٢٣).

خامساً: الميزة الأخرى للكتاب أن المؤلف - وفقه الله - كتبه عن معاشية ومن تجربة لحالات المرضى النفسيين الذين يراجعونه أثناء العمل، فهو تطبيق عملي على أرض الواقع، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «ليس الخبر كالمعاينة»^(١)، وأيضاً هو من خبرات السنين مع الاستفادة من الكتابات السابقة في مجال الطب النفسي.

سادساً: من الأمراض الشائعة اليوم عند بعض الناس وعند بعض من يرقى الناس المبالغة الكثيرة في نسبة تلك الحالات النفسية إلى العين والسحر والحسد وما ينتج عن تلك المبالغات لدى المراجعين من القلق والهموم والاكتئاب والشكوك، والمؤلف راعى علاج هذه المشكلة من المنظور الشرعي، ولذا نقل عشرة أسباب مفيدة ومهمة من كلام الإمام العالم الرباني وشيخ الإسلام الثاني ابن القيم رحمه الله، إذا قام بها العبد وطبقها بيقين زال عنه بتوفيق الله وفضله شر الحاسد والعاين والساحر وغيرهم فضلاً من الله ونعمة^(٢).

هذا ولا تعارض بين الرقية بشروطها المعتبرة شرعاً وبين العلاج بالطب النفسي، فكلاهما مأمور به شرعاً، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَّاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»^(٣).

سابعاً: المؤلف في هذه الطبعة طرق موضوعات جديدة، منها: أصول

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣ / ٣٤١، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) سيأتي ذكره (ص ١٧٦).

(٣) رواه أبو داود في سننه، باب في الأدوية المكروهة، حديث رقم ٣٨٧٤، ٦ / ٢٣.

الطب في الشريعة، ومنها: الكلام عن عظمة النفس وأحوالها بأسلوب مختصر وموثق، ومنها: الكلام عن العلاج بالتخييل من منظور شرعي، ومنها: أنواع الخوف، وكذلك أثر الصدقة وغيرها مما يتعلق بصحة الإنسان في أحد عشر أثراً^(١).

ثامناً: تناول المؤلف في هذا الكتاب فتاوى شرعية تتعلق بأمور علاجية وفوائد طبية، وتعليقات مفيدة، وشواهد شعرية، وذكر عشرة آثار شرعية وتربوية وصحية، وهذا كله ضرب من العلاج الشرعي والترويح عن النفس، وفي الجملة، فهذا الكتاب فيه منهج إيماني دعوي صحي، وهذه خصلة حسنة جميلة، ولا سيما أن المؤلف مرشد ديني في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

تاسعاً: من ميزات أصل هذا الكتاب كونه نال شهادة تكميم وتقدير في حفل تكريمي بهيج أقيم يوم الأحد صباحاً ٢٣ / ٨ / ١٤٤٠ هـ في قاعة مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، وهذه الشهادة التي نالها المؤلف - وفقه الله - تُعدّ تزكية للكتاب لكونها صادرة من المختصين في المجال الطبي على حد قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٢). ثم أعقبها شهادة أخرى فيها شكر وتقدير صادرة من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض، ممثلة بإدارة التوعية الدينية فيها شكر وتقدير وثناء.

(١) سيأتي ذكره (ص ٢٣٥).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

ثم أعقب ذلك حصوله على درع تكريمي من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية، بمناسبة إقامة لقاء المحور الخاص بعنوان (الخلط في التشخيص بين الأعراض الروحية والنفسية + الرقية الشرعية في مجمع إرادة للصحة النفسية، جهود وثمرات)، ومع هذا كله فله - وفقه الله - سجل حافل بالمشاركات والأنشطة في مسيرة عمله الوظيفي، فقد حصل على شهادات وتزيكات وتوصيات تقارب الثلاثين وهي مرصودة في آخر الكتاب.

عاشراً: وفي الختام، هذا المنهج الذي سلكه المؤلف - وفقه الله - جيد ومفيد، فيا حبذا لو أن كل شخص في عمله أو وظيفته بحسب تخصصه وقدرته ومهما كان عمله استطاع أن يدون آراءه وأفكاره وتجاربه من خلال عمله ويقوم بترتيبها ونشرها حتى يستفاد من تلك الإيجابيات وتتلافى السلبيات، وأيضاً يستفيد المتأخر من تجربة المتقدم، وهذا إنجاز عظيم يساعد في المشاركة وفي الابتكار والتطوير بتقديم كل ما من شأنه رفع مستوى الأداء الوظيفي وتقديم أفضل الخدمات للمستفيدين، يستحق فاعله الشكر والتقدير، لكن الموضوع يحتاج إلى همّة عالية وعزيمة صادقة، وقبل ذلك يستمد من الله العون والسداد، وصدق أبو الطيب المتنبي:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومهما يكن فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً. هذا ما لم تكن طبيعة العمل أو الوظيفة تستدعي من الموظف السريّة والكتمان، وعدم البوح بشيء من عمله مهما كان، فإذا كان كذلك فعليه الالتزام بذلك أداءً للأمانة^(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٢).

ووفاء بالعقد، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٣).

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتب أ.د. محمد بن عبدالله السمهوري

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٨ / ٤ / ١٤٤١ هـ

(١) وللمزيد: انظر كتاب: مصلحة الكتان، للشيخ يوسف المطلق رحمه الله، ص ٢٠، وكتاب: حث

الأخيار على حفظ الأسرار، تأليف: عبدالإله بن إبراهيم بن داود.

(٢) سورة المؤمنون: ٨.

(٣) سورة المائدة: ١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

مهتد

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن نور الشريعة وهدايات الوحي الإلهي لم تترك شيئاً من شأنه صلاح أحوال البشر إلا بينته ودلت عليه وأمرت به كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ

«شِفَاءٌ عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»^(١).

فهذا مما عنيت به الشريعة الإسلامية في مجال الطب وما يتعلق به، وموضوعه هو الإنسان، حياته، وموته، وصحته، ومرضه، سواء أكان ذلك عضوياً أو نفسياً، فله الحمد والمنة على كمال الشريعة.

ولا شك أن الله عز وجل هو خالقنا وهو أعلم بما يصلح أحوالنا،

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والله سبحانه وتعالى شرع لنا منهجاً من سار عليه أفلح، ومن حاد عنه ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال سبحانه ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿[طه: ١٢٣-١٢٤].

ويسرني أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعضاً من النظرات والوقفات حول العين والسحر والمس من الجن والاضطرابات النفسية، وما يلحق بها من أعراض وأمراض وعلاجها من منظور شرعي، وذلك من خلال تجربة ومشاهدة من الواقع أثناء عملي بمجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

وكم كنت متردداً في تأليف هذا الكتاب على أثر خواطر كانت تعتريني ما بين فينة وأخرى، خاطرة إحباط، لسان حالها يقول: (الترم الصمت)

(١) صحيح البخاري: (٢٠٣/١).

الفصل ما بين الاضطرابات النفسية وإصابة المرضى بالمس من الجن أو السحر أو العين من الصعوبة بمكان.

وأخرى طموحة، لسان حالها يقول: (إلى متى الصمت؟) ولم يدل أحد بدلوه على حد علمي حول هذا العنوان.

وأخرى تواقّة، لسان حالها يقول: (اكتب ما استطعت) مهما كثر النقد؛ لاسيما من بعض الأطباء النفسيين أو من بعض الرقاة مادام أن الفائدة تصب في مصلحة المريض، فلو أن كل شخص خشي من النقد ما كتب كاتب.

وللنقد أهداف ودوافع كل بحسب نيته ومآربه، وكل يعمل على شاكلته، وعند الله تجتمع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١).

فالنقد المنصف منهج شرعي لما فيه من التعاون على البر والتقوى، وهو مبني على العدل والإنصاف وحب الخير، والبعد عن الهوى، ولا يؤتي ثمرته إلا بالآداب الشرعية.

يقول الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفياض - رحمه الله - : «إذا كان المديح المجازف بلاء على الأمة فإن النقد الهادم مصيبة عليها، فبعض الناس لا يعجبهم العجب فهم ينظرون للأشياء بمنظار أسود، وكل شيء

جميل فهو في رأيهم قبيح، فهم يتخيّلون النور ظُلْمة، والبياض سواداً، والجميل دميماً، فلا يهنأ لهم بال حتى يقدحوا ويشتموا ويعيبوا، فتراهم ساخطين على كل شيء ناقلين على الدنيا وما فيها.

وإذا كانت الأمة لا تستغني عن النقد فهي تحتاج إلى النقد الهادف الذي ينشد الحقيقة ويتعد عن البذاءة والمهازل^(١).

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾^(٢).

وحينما أتطرق في كتابتي حول موضوع الكتاب لا يعني أنني أتجاهل ما كتبه الفضلاء من أهل العلم في مجال الرقية الشرعية، ولا أتجاهل ما كتبه المختصّون في مجال علم النفس، أثاب الله الجميع.

لكنني أسعى جاهداً في نظرات تبدأ من حيث ما انتهوا إليه في هذا الموضوع، وانتقاء المختصر المفيد في ضوء الكتاب والسنة وشيء من التفسير وما جاء عن السلف رحمهم الله وربطها بالطب النفسي المعاصر.

هي نظرات تهدف إلى الحدّ من ازدواجية المريض ما بين الراقي والطبيب النفسي، فطالما أرّق المعالجين إصرار بعض أهالي المرضى على أن سبب إصابة مرضاهم ناجم عن تلبس الجن أو السحر أو العين.

فربما دفع هذا الإصرار بعض المرضى إلى ترك العلاج نتيجة كثرة الجدل بين بعض الرقاة وبعض الأطباء النفسيين حول علاقة العين والمس

(١) في سبيل الإسلام، زيد بن عبدالعزيز بن فياض، ص ١٧٠.

(٢) سورة الأحقاف: ١٩.

من الجن والسحر بالاضطرابات النفسية، الذي أسهم في زعزعة الثقة بين الطرفين وأوقع بعض المرضى في حيرة، وحمل آخرين مع الأسف إلى اللجوء للسحرة والمشعوذين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن جهة أخرى، المبادرة إلى خطوة علاجية تقتصر على بعض القصص والتجارب حول كل موضوع تحكي واقعنا المعاصر من خلال عملي في هذا المجال، تتراوح فترتها الزمنية ما بين عام ١٤١٩ هـ تقريباً إلى عام ١٤٤١ هـ.

ومن أجل إدخال السرور وبث الطمأنينة على نفوس المرضى وأسرهم وإشراقة أمل، بعيداً عن الإرجاف والوهن الذي أصاب الكثير من الناس فضلاً عن المرضى من جراء التوسع في أنواع السحر والمبالغة في قصص الجن المخيفة وكذا المبالغة في الإصابة بالعين، سواء كانت في بعض القنوات الفضائية أو مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد سلكت في إعداد هذا الكتاب أسلوباً سهلاً يستهدف العامة، ويتناول طابعاً خاصاً في مفهوم علم النفس لأهل الاختصاص من منظور شرعي، ونظرة ميدانية نقدية في جزء من واقع الرقاة، وليست دراسة أكاديمية تستدعي تخصص الطب النفسي خصوصاً في استحداث بعض العناوين الجديدة.

ولا شك أن للعلاج المعرفي السلوكي دوراً فاعلاً في حياة المريض.

وسيلاحظ القارئ الكريم إيراد النصوص الشرعية في سياق مضامين هذا الكتاب، متى ما تدبرها المريض معتقداً تأثيرها - بإذن الله - فتح له ذلك بارقة

أمل بالشفاء والخروج من الأزمات النفسية؛ لأن حياة المؤمن وتصرفاته منوطة بأحكام الشرع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

هذا، ولا يفوتني في مطلع هذا الكتاب أن أرفع أسمى كلمات الشكر والتقدير والامتنان إلى ولاية أمرنا أثابهم الله حيال تلك الجهود المباركة التي يبذلونها للمرضى في مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض.

كما أنني أتقدم بالشكر والعرفان لفضيلة الشيخ أ.د. محمد بن عبد الله السمهوري وفقه الله، الذي أسهم بكتابة المقدمة ومراجعة كتابي، مع ما أبداه من ملحوظات مفيدة وتوجيهات سديدة، فجزاه الله خيراً.

هذا وفي الوقت نفسه أقدم رسالة شكر وعرفان لإدارة مجمع إرادة للصحة النفسية بالرياض، نظير ترشيح كتابي الموسوم بـ (نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية) وتكريمي ضمن فعاليات اليوم العالمي للكتاب عام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، والحصول على شهادة الشكر والتقدير.

والشكر موصول للمديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية بصحة الرياض على ما غمروني به من شهادة الشكر والتقدير، وكذلك الدرع التكريمي، وكلتا الشهادتين والدرع أعتزُّ بها، وأعتبر ذلك وسام فخر، وكان لها بالغ الأثر على نفسي، وهذا مما دفعني للمزيد من الاجتهاد والبذل لزيادة موضوعات الكتاب، مما جعله يفوق الضعف وبعنوان

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

جديد (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي).
 كما أنني أكرر شكري ودعائي لكل من ساندني تحريرياً أو شفهيّاً برأي أو
 مشورة، أو بنقد هادف وبناء.

هذا مع إيماني الجازم أن كل كلام ليس بكلام الله - عز وجل - ولا كلام
 رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يخلو من النقص والتقصير، والكمال عزيز.
 ويأبى الله سبحانه العصمة إلا لكتابه العزيز الذي قال عنه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ
 عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

وقال تعالى في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ
 إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

هذا ومن كان عنده زيادة علم فليجد به علينا مذكوراً مشكوراً، ومن الله
 وحده أستمَد العون والسداد والتوفيق.
 والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
 أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد بن زيد الكثيري
 المرشد الديني بمجمع إرادة
 للصحة النفسية بالرياض
 ١٤٤١/٤/٣هـ

M.alkathiri@gmail.com

٥٠٤٢٢١٩٢٥

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة النجم: ٣، ٤.

نظرة حول أصول الطب في الشريعة الإسلامية

قال العلامة عبدالرحمن السعدي (رحمه الله) ^(١) أصول الطب ثلاثة:

١. حفظ الصحة باستعمال الأمور النافعة.

٢. الحمية من الأمور الضارة.

٣. دفع ما يعرض للبدن من المؤذيات.

ووسائل الطب كلها تدور حول هذه القواعد، وقد أشار القرآن

الكريم على حفظ الصحة ودفع المؤذي في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ^(٢). وأشار القرآن الكريم كذلك إلى التداوي

والعلاج بالعسل، فقال سبحانه وتعالى في وصف النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ

بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ ^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن

الكي) ^(٤).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله ^(٥): «قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ١٠٩).

(٢) سورة الأعراف: (٣١).

(٣) سورة النحل: (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الشفاء في ثلاث برقم (٥٦٨٠) (٧/ ١٢٢).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

الغذاء، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بياناً شافياً يغني عن كلام الأطباء فقال: ((مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقِيَّاتٍ يُقَمِّنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَةَ فَتَلَّثَّ لِبَطْنِهِ وَتَلَّثَّ لِشَرَابِهِ وَتَلَّثَّ لِنَفْسِهِ))^(١)، خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدى كرب.

قال علمائنا: لو سمع أبقرراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، ويذكر أن هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعل بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل: « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ». فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: وَلَا يُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِكُمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّبِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّبَّ فِي الْفَاطِ يَسِيرَةٍ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: (المعدة بيت الأدوية والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته)، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طَبًّا.

قلت: أما قوله: «المعدة بيت الأدوية...»، فهي حكمة طبية سائرة ومشهورة، ومعناها صحيح، وهي تنسب إلى «طبيب العرب بل أطبهم الحارث بن كلدة، وكان فيهم كأبقرراط في قومه»^(٢)، وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة ما يدل على ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا

(١) جامع الترمذي رقم (٢٥٣٩ و ٢٥٤٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) زاد المعاد (ص ٧٦٤).

مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسِبُ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتُ يُقَمِّنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثَلْثُ طَعَامٍ، وَثَلْثُ شَرَابٍ، وَثَلْثُ لِنَفْسِهِ^(١).

فهذا النص النبوي الكريم، وأمثاله كثيرٌ جداً يدل على عناية الشرع بصحة الإنسان، سواء كانت الصحة البدنية أو النفسية.

فعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»^(٢).

كما أن الشريعة الإسلامية لها عناية بصحة الإنسان فإن لها كذلك عناية بما هو أعظم من ذلك، ومنها:

١ - العناية بصحة العقيدة على ضوء الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث المقدم بن معدي كرب الكندي، برقم ١٧١٨٦ (٤٢٢/٢٨).

(٢) رواه البخاري، باب صنع الطعام والتكلف للضيف برقم ٦١٣٩ (٣٢/٨).